

الصّراع الطائفيّ النصرانيّ وأثره على الصّراع الدّوليّ.. الحرب العالميّة الأولى أنموذجاً



فيصل بن علي الكاملي

باحث وأكاديمي - عضو هيئة تحرير مجلة البيان

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة حقيقة الصراع الطائفي النصراني، ومدى مصداقية التفسير العقدي لأحداث التاريخ الأوروبي الكبرى، لا سيما الحرب العالمية الأولى.

وقد قسّمت الدراسة أنواع الصراع الطائفي إلى قسمين رئيسين: الكاثوليكي-الأرثوذكسي، والكاثوليكي-البروتستانت، وأعرضت عن الصنف الأخير (الأرثوذكسي-البروتستانت)؛ لعدم أهميته في هذه الدراسة.

تستعرض الدراسة تاريخ هذه الصراعات، والدور الذي لعبته في تكوين العقلية السياسية الغربية، مع ذكر أمثلة للحروب التي ظهرت فيها هذه الطائفية جليّة كحرب القرم والحرب النمساوية-البروسية؛ وكيف أن هذه الحروب مهّدت للحرب العالمية الأولى التي كانت حرباً طائفية بامتياز.

ينتقل الحديث بعد ذلك إلى التفصيل في الدوافع الطائفية التي تسببت في اشتعال الحرب العالمية الأولى التي كانت الدولة العثمانية طرفاً فيها. مع محاولة بيان أن هذه الحرب لم تكن في المقام الأول حرباً لمصالح دينوية -كما يُشاع- بل كان الهدف منها دينياً، يتلخص في: إضعاف دولة الإسلام، وطائفة الأرثوذكس من النصارى.

كما تم الحديث بإيجاز عن مستقبل الصراع الطائفي النصراني، وكيفية استثماره لصالح المسلمين.

وينتهي البحث إلى أهمية دراسة الصراع الطائفي بين أصناف النصارى، وضرورة توجيه الجهود المؤسسية للبذل في هذه الحقل؛ لما يعود به من نفع على صانعي القرار والعلماء والمفكرين.

مع ملاحظة أن جُلّ ما حدث في التاريخ الأوروبي لا يزال يؤثر في العقلية الأوروبية، وأن دراسة هذا التاريخ تهّي الباحثين ومؤسساتهم لاستشراف المستقبل بصورة أكثر اتزاناً.

وقد آثرت أن أنهج بالدراسة المنهج التاريخي لغياب كثير من حقائق التاريخ الأوروبي عن القارئ العربي؛ فكان لا بد من استعراض المهم في ذلك التاريخ حتى يمكن الحكم عليه.

الصِّراع الطائفيُّ النصرانيُّ وأثره على الصِّراع الدَّوليِّ.. الحرب العالمية الأولى أنموذجاً



فيصل بن علي الكامل

باحث وأكاديمي - عضو هيئة تحرير مجلة البيان

مقدمة:

كان الصراع النصراني النصراني حاضراً في كل المشاهد السياسية العالمية، فعلى سبيل المثال عمت الفرحة الكنيسة الكاثوليكية بانتصار البلاشفة في روسيا؛ لأن ذلك سيكون خصماً من نفوذ الكنيسة الأرثوذكسية، وفي أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى سُري عن الفاتيكان بانتصار أتاتورك في «إزمير»، فتبددت بذلك أحلام اليونان في امتلاك العاصمة الأرثوذكسية القديمة. وهكذا يمكننا القول: إن الصراع النصراني- النصراني كانت له آثاره على المشهد السياسي العالمي، وكانت الحرب العالمية الأولى إحدى تجليات ذلك الصراع.

أولاً: الصراع الطائفي النصراني.. أصنافه وآثاره:

يمكن تعريف الصراع الطائفي بأنه صدام ناتج عن حالة من الاحتقان واللاتسامح بين الطوائف داخل المجتمع الواحد، أو بين المجتمعات المختلفة؛ هذه الحالة تتبع في أساسها من دائرة الاعتقاد الديني.^(١) وقد تظل هذه الصراعات فكرية لاهوتية، وقد تتطور إلى مصادمات بل حروب.

في الحالة النصرانية يمكن تقسيم الصراعات الطائفية باعتبار الطوائف الثلاث الكبرى (الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية) التي تمثل جلَّ النصارى؛ فهناك الصراع الكاثوليكي-الأرثوذكسي، والصراع الكاثوليكي-البروتستانتية، وهذان القسمان يفسران جانباً كبيراً من حروب أوروبا الشهيرة كما سنرى؛ أما النوع الثالث، أعني الصراع الأرثوذكسي-البروتستانتية، فلا يعدو أن يكون خلافاً في المسائل اللاهوتية، ولا يستحق أن يُسمَّى صراعاً؛ لذا أعرضت عنه؛ أما بعض مظاهره كالصراع بين بريطانيا وروسيا في «حرب القرم» فله اعتباراته الخاصة؛ من هذه الاعتبارات أن الكنيسة الإنجليزية بعد أن تأثرت بحركة أكسفورد الأنجلو-كاثوليكية في منتصف القرن التاسع عشر أصبحت هجيناً بين الكاثوليكية والبروتستانتية.

١- الصراع الكاثوليكي - الأرثوذكسي:

يُعد الصراع الكاثوليكي-الأرثوذكسي أقدم الصراعات الطائفية عند النصارى. فلا شك أن الكنيستين الشرقية والغربية كانتا ولا تزالان خصمين لدودين منذ اختلافهما في القرن الخامس الميلادي حول قضايا «لاهوتية» عُقدت لها المجامع وألِّفت فيها الرسائل من الطرفين، ولَعُنت كلتا الأُمَّتين أختها. وفي مستهل القرن الحادي

(١) هاني نسيرة، «الطائفية قبل وبعد الثورة المصرية»، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٣/٧/٢٠١١م.

السبل الأخلاقية وغير الأخلاقية في محاولة للقضاء على هذا الخصم العنيد. ولعل ما حصل خلال الحرب العالمية الأولى يبرهن على ذلك.

ففي أعقاب اندلاع الحرب العالمية الأولى وقّع رئيس وزراء بريطانيا «لويد جورج» مع «بازل زاهاروف» ورئيس وزراء اليونان «فينيزيلوس» اتفاقية تنص على منح اليونان -عاصمة الأرثوذكسية القديمة- القسطنطينية. وقد أثارت هذه الاتفاقية زوبعة من الاحتجاجات التي لم تصدر من الدول الغربية، بل من الفاتيكان خصم الكنيسة الأرثوذكسية. وأصبحت بريطانيا حقيقةً بالسخط البابوي؛ لما تغافلت عن طلب البابوية بعدم الإقدام على مثل تلك الاتفاقية. فما كان من الفاتيكان إلا أن شرعت تُقلّب عملاءها الماسون فوجدت في «كمال أتاتورك» خير معين. لقد سُري عن الفاتيكان بانتصار أتاتورك في «إزمير» فتبددت بذلك أحلام اليونان في امتلاك العاصمة الأرثوذكسية القديمة.

أدرك «أتاتورك» أن التحالف مع الفاتيكان سيكون ذا نفع للطرفين، فعقد تحالفًا غير معلن منح صلاحيات خاصة للكنيسة الكاثوليكية في تركيا. لكن أعظم ما جنته الكنيسة من هذا التحالف هو الحيلولة دون عودة الكنيسة الأرثوذكسية إلى القسطنطينية. لقد وصفت صحيفة «أوسيرفاتوري رومانو» Osservatore Romano التابعة للكنيسة الكاثوليكية انتصار أتاتورك في إزمير بقولها: «نصرٌ للبابا عظيم»⁽¹⁾.

ليس ذلك فحسب، بل قرر أتاتورك تحويل مسجد أياصوفيا الذي كان يصدح بالأذان -بعد أن كان قبلها كنيسة أرثوذكسية- إلى متحف رومي بيزنطي بعد أن استشار الفاتيكان؛ تحسباً لأي ممانعة. لكن الفاتيكان التي تُرعد وتُزبد عادةً إذا ما هُددت مؤسسة كاثوليكية

عشر الميلادي تفاقم الحال بعد أن رفض بطريرك القسطنطينية الأرثوذكسي «ميخائيل كيرولاريوس» Michael Cerularius الخضوع للسلطة البابوية وأغلقت كنائس الروم اللاتين في المشرق، وظل نفوذ الأرثوذكسية في اليونان وبلغاريا ويوغسلافيا ورومانيا وفلسطين والإسكندرية وروسيا.

في أثناء الحرب الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م هاجم الروم الصليبيون آسيا الصغرى، ودمّروا القسطنطينية عاصمة الأرثوذكسية حينئذ. واستمر الصراع بين الكنيستين إلى يومنا هذا؛ أي ما يقارب ألف سنة. كان هدف الكنيسة الكاثوليكية من هذه المواجهة تدمير أو إخضاع الكنيسة الأرثوذكسية، أو دمجها طوعاً أو كرهاً في الكنيسة الكاثوليكية.

بين عامي ١٤٥٣م (فتح القسطنطينية وسقوط الإمبراطورية البيزنطية) إلى سقوط الإمبراطورية القيصرية الروسية عام ١٩١٧م كانت علاقة الفاتيكان بالكنيسة الأرثوذكسية تمر بمرحلة ركود دبلوماسي؛ من أهم أسبابه انتقال مركز الأرثوذكسية من الشرق إلى الغرب (روسيا المقدسة)؛ حيث ضربت بأطنانها. فكما كانت روما اللاتينية هي «روما الأولى» أصبحت القسطنطينية «روما الثانية». فلما سقطت الدولة البيزنطية على أيدي المسلمين صارت روسيا المعقل الأقوى للكنيسة الأرثوذكسية، وموسكو هي «روما الثالثة».

وجدت الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا أرضاً خصبة لاستعادة قوتها وهيبته، لكنها أخطأت ثانية عندما ارتبطت بالإمبراطورية القيصرية كما ارتبطت من قبل بالإمبراطورية البيزنطية، فكان ضعفها متلازماً مع سقوط روسيا القيصرية عام ١٩١٧م. حينها استؤنفت مكائد الدبلوماسية الكاثوليكية حيثما وجدت الأرثوذكسية في البلقان وروسيا وأوروبا الشرقية، بل وفي الشرق الأوسط. ولم تتورع الفاتيكان عن سلوك

(1) Avro Manhattan. Vatican Imperialism in the 20th Century (Zondervan, 1965), p. 241.

الرومية.^(١) بل لما نهضت المقاومة الأرثوذكسية لم تبدِ الفاتيكان أي تعاطف معها، بل كانت ترجو أن تضرب روسيا الملحدة ضربتها القاضية فتنتهي الأرثوذكسية إلى الأبد. وهذا ما صرح به «مونتي» صديق البابا بندكت الخامس عشر قائلاً: إن قداسته [يعني البابا] يرى أن هذه الجرائم وهذه الدماء ستكون ذات فضل يوماً ما، إن أمكن -بعد انصراف موجة الإلحاد هذه- أن يبشّر بالكاثوليكية في روسيا. إن بقاء الأرثوذكسية لن يدوم طويلاً، ونهايتها كدين رسمي يتيح فُرصاً لم تكن لتوجد في ظل حكم القياصرة حراس الكنيسة [الأرثوذكسية].^(٢)

٢- الصراع الكاثوليكي - البروتستانتي:

ظهرت في أوروبا في عام ١٥١٧م حركة دينية «إصلاحية» على يد لاهوتي ألماني يدعى «مارتن لوثر»، كانت هذه الحركة «احتجاجاً» على بعض ممارسات الكنيسة الكاثوليكية كإصدار صكوك الغفران، وبعض المظاهر الوثنية، فعُرفت باسم «البروتستانتية» (Protestantism)

اشتقاقاً من الفعل (protest) بمعنى «يحتج» أو «يعارض». انتشرت الحركة البروتستانتية في أوروبا ودعمتها دعوات مماثلة تُعد امتداداً لحركة لوثر من أشهرها ما قام به السويسري «زوينغلي» والفرنسي «كالفن».

كان نفوذ الدولة العثمانية في هذه الحقبة قد بلغ دول البلقان، وبدأت المواجهة بين هذه الدولة الإسلامية وبين إمبراطورية هابسبورغ الكاثوليكية في النمسا. فجاءت الحركة البروتستانتية لتفتح على الكنيسة الكاثوليكية جبهة داخلية قوية موالية

بالعلمنة كانت هذه المرة أصمّت من فئران الكنائس، بل شجعت عميلها الماسوني سرّاً على تدنيس المقدسات غير الكاثوليكية.

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى قد حقّقت للفاتيكان نصراً على الكنيسة الأرثوذكسية؛ فإنها كذلك فتحت لها آفاقاً في التعامل الدبلوماسي الذي سعت من خلاله دأبة لإسقاط الدولتين العثمانية الإسلامية والقيصرية الروسية الأرثوذكسية، حتى حدث ذلك بالفعل.

كان من أسباب اضطراب الكنيسة الأرثوذكسية مقارنةً بالرومية الكاثوليكية ارتباطها -كما أسلفت- بالإمبراطوريات، وهو ما عنى سقوطها بسقوط

دولتها. فلما قامت الثورة البلشفية نسفت هذه الكنيسة كما نسفت دولتها القيصرية، وتبع ذلك تأميم ثروتها الهائلة وتهميش الدور السياسي لقساوستها، وأصبح الفصل بين الدين والدولة حقيقة قائمة.

فهل حزنّت الفاتيكان على سقوط كنيسة نصرانية على أيدي الملاحدة؟ كلا! بل عم الفرح والبهجة أروقة

كنيسة القديس بطرس في روما؛ فالبلاشفة وإن كانوا ملحدين إلا أنهم خدموا الكنيسة الرومية بالقضاء على خصمها اللدود؛ الكنيسة الأرثوذكسية، فلا ريب أن منهج الفاتيكان مكيافيلي صرف تبرر فيه الغاية الوسيلة. لقد أنجز البلاشفة ما لم تنجزه الكنيسة الكاثوليكية لأكثر من ألف عام ومهدوا لسياسة الهيمنة الغربية على كنائس الشرق التي تمثلت في تحويل الكثير من أتباع الأرثوذكسية إلى الكاثوليكية، بالإضافة إلى «الدمج الروحي» لبلغاريا ورومانيا والصرب وأوكرانيا الأرثوذكسية وغيرها داخل الكنيسة

(١) مرجع سابق.

(2) Count Sforza. Contemporary Italy (F. Mulker, 1940).

ولكن بالرغم من اغتيال الملك بقيت الكنيسة الكاثوليكية في صراع مرير مع «مرسوم نانت» الذي أجبرهم على كف أيديهم عن بروتستانت فرنسا حتى تمكنوا من إلغائه عام ١٦٨٥م في أثناء حكم الملك «لويس الرابع عشر».

وبدأت السياسة القمعية ضد البروتستانت في فرنسا حتى إن الملك «لويس الرابع عشر» كان يتجح بأنّه خلال عام واحد لم يُبق في فرنسا سوى ١٠٠٠-١٥٠٠ من الهيجونوت البروتستانت.^(٤) كما يذكر الأب الفرنسي الكاثوليكي الأصل «تشارلز تشينيكي» في كتابه «خمسون عاماً في كنيسة روما» بأن الملك الفرنسي «تسبب في قتل نصف مليون من الرجال والنساء والأطفال الذين هلكوا في طرقات فرنسا، كما تسبب في هلاك ضعف ذلك العدد في أرض المهجر...»^(٥)

وهكذا لم يتبق من البروتستانت في فرنسا سوى الفقراء والمستضعفين، وهاجرت الطاقات والعقول البروتستانتية إلى بقية دول أوروبا وأمريكا الشمالية.^(٦)

أما في هولندا فكان تأثير الكالفنية البروتستانتية في تزايد. فأرسل «فيليب الثاني» عشرة آلاف جندي إسباني يقودهم «دوق ألبا»، وبإشراف جمعية يسوع أقيمت محاكمة «مجمع الدم» أو «مجمع الفتن» كما يسمى. وبناء على توصيات هذا المجمع وفي «أقل من عقد أُبِيد بأمره [أي فيليب الثاني] في حجرات

للمسلمين بالرغم من قلق زعماء البروتستانتية من الزحف الإسلامي كما يتضح من كتاب لوتر «في الحرب ضد الأتراك» Vom Kriege wider die Türken.

في عام ١٥٤٥م عقدت الكنيسة الكاثوليكية مجمع «ترنت»؛ كان الداعي إلى هذا المجمع هو اتساع الحركة البروتستانتية في أوروبا بشكل أذّر بفقدان الكنيسة نفوذها على ممالك أوروبا. اعتُبر المجمع الحركة البروتستانتية بدعة وهرطقة، ولعن أتباعها، وشرعت الكنيسة الرومية تستعد لمواجهة هؤلاء الخوارج على سلطانها.

بدأت في فرنسا «حروب الدين الفرنسية» بين الكاثوليك والبروتستانت بعد أن أصبح «الهيجونوت» البروتستانت يشكلون قوة سياسية فيها. وحدثت «مذبحة القديس بارثولوميو» St. Bartholomew's Massacre عام ١٥٧٢م التي قُتل فيها خمسة وسبعون ألفاً من الهيجونوت البروتستانت.^(١)

وفي عام ١٥٨٩ طُعن الملك الفرنسي «هنري الثالث»؛ لأنه «لم يتورع عن مقاومة النفوذ المتزايد للنبالة الكاثوليكية بتحالفه مع حزب «الهيجونوت» [بروتستانت فرنسا].»^(٢)

وفي عام ١٦١٠م اغتِيل خلفه «هنري الرابع» عندما أصدر «مرسوم نانت» Edict of Nantes الذي ضمن للهيجونوت حرية العبادة والمساواة في الحقوق، خلافاً لما نصت عليه عقيدة مجمع ترنت.^(٣)

بعض الصراعات الطائفية التي حدثت في أوروبا كان سببها دينياً صرفاً، ولم تزل طوائف النصارى تشغل عاملاً مهماً جداً في توجيه الصراعات الدولية وهذا ما نراه جلياً في الحرب العالمية الأولى.

(4) Wikipedia, "Dragonnade" <<http://en.wikipedia.org/wiki/Dragonades>>.

(5) Charles Chiniquy. Fifty years in the Church of Rome (Toronto: S. R. Briggs, 1886), p. 686.

(6) The Huguenots in France (New York: Harper & Brothers Publishers, 1874), pp. v-vii.

(1) Eric J. Phelps. Vatican Assassins 2nd Ed. (Newmans-town, PA: Eric John Phelps, 2004), p. 175.

(2) Rene Fulop-Miller. The Power and Secret of the Jesuits (New York: The Viking Press, 1930), p. 316.

(3) Edwin Sherman. The Engineer Corps of Hell; Or Rome's Sappers and Miners (San Francisco, California: Private subscription, 1883), p. 86.

وفي عام ١٦٠١م دبّر اليسوعيون ما يعرف بـ «مكيدة البارود» برعاية من الملك «فيليب الثالث» الذي كان عميلاً لأتباع لويولا. قرر اليسوعيون «أن يبيدوا الملك وكل عائلته، بالإضافة إلى كل زعماء البروتستانتية في إنجلترا بضربة واحدة»^(٣) عن طريق تفجير البرلمان أثناء اجتماعه بستة وثلاثين برميلاً من البارود. ولكن شاء الله أن يدخل «العمدة» قَبْو البرلمان ليجد «جاي فوكس Guy Fawkes» يتأهب للقيام بالعملية فتم القبض عليه.

وفي عام ١٦٦٨م ثار البرلمان البروتستانتي على الملك «تشارلز الأول» فيما يعرف بالثورة البيوريتانية (التطهّرية) بقيادة «أوليفر كرومويل» الذي عرف جيشه باسم «الحديديين» Ironsides. انتصر كرومويل في معاركه ضد الكاثوليك في إنجلترا، بل تقدم إلى إيرلندا لنصرة البروتستانت، فدمّر أسوار مدينة «دروغيدا» الكاثوليكية، وقتل فيها ألفين تقريباً؛ كما أجبر فرنسا على إصدار عفو عام يقضي بضمان حقوق الهيجونوت. أما مصير الملك «تشارلز الأول» فكان الإعدام بأمر من البرلمان الإنجليزي بتهمة الخيانة العظمى.

بعد وفاة القائد الإنجليزي «أوليفر كرومويل» عادت أسرة «ستيوارت» الكاثوليكية لتحكم إنجلترا. وأصدر الملك «تشارلز الثاني» حكم الإعدام على كل أعضاء البرلمان البروتستانتي الذين وقّعوا وثيقة إعدام أبيه «تشارلز الأول»، وقتل الكثير من الشعب.

بعد وفاة «تشارلز الثاني» عام ١٦٨٥م خلفه أخوه الكاثوليكي «جيمس الثاني». لكن البروتستانت طردوه من مملكته ففر إلى فرنسا تحت كنف «لويس الرابع عشر». وطلب الإنجليز من الهولندي البروتستانتي

التعذيب وتحت المقاصل وعلى المحرقات مائتان وخمسون ألفاً من الرجال والنساء الهولنديين»^(١).

ومن أهم الحروب الطائفية النصرانية: «حرب الثلاثين عاماً» عام ١٦١٨م، كان سبب قيام هذه الحرب هو انتشار الحركة البروتستانتية في أوروبا، خصوصاً ألمانيا. ففي مستهل القرن السابع عشر كانت ألمانيا بروتستانتية تقريباً بعد أن انتشرت فيها تعاليم «لوتر» و«كالفن». فاستعد التنظيم اليسوعي بتحالف بين «بافاريا» و«النمسا» لمذبحة جديدة تجتث الدين البروتستانتي. كان حصاد هذه الحرب ومحاكم التفتيش عشرة ملايين من البروتستانت. بالرغم من المجزرة التي حدثت على أيدي هؤلاء اليسوعيين إلا أن النتائج كانت مخيبة لآمالهم. لقد انتهت الحرب بـ «صلح وستفاليا» Peace of Westphalia عام ١٦٤٨م الذي ضمن الحرية الدينية مما وسّع انتشار حركة الإصلاح البروتستانتي. في الوقت ذاته تحررت «جمهورية هولندا» من ربة إسبانيا الكاثوليكية^(٢).

توسعت أطماع الكنيسة الكاثوليكية لتصل إلى الحركة البروتستانتية في إنجلترا. وكان هدف الكنيسة أن تستبدل بالملكة البروتستانتية «إليزابيث» الكاثوليكية «ميري ملكة اسكتلندا». لكن هذا لم يتحقق، بل حوكت «ميري ملكة اسكتلندا» بتهمة التآمر مع عملاء البابوية وضُربت عنقها عام ١٥٨٧م بأمر من البرلمان الإنجليزي. هنا أمر «فيليب الثاني» بتعبئة الآلاف من الجنود الإسبانين يحملهم أسطول «أرمادا» الشهير الذي مؤلته الكنيسة، وكان ذلك عام ١٥٨٨م. لكن ريحاً عاتية عصفت بهم فأهلك منهم عشرين ألفاً، وأغرقت السفن لِيُلْقِيَ اليَمُّ حطام بعضها على سواحل إيرلندا واسكتلندا.

(1) Paassen, Pierre van. Days of our Years (Garden City Pub., 1942), 389.

(2) Wikipedia "Peace of Westphalia" <http://en.wikipedia.org/wiki/Peace_of_Westphalia>.

(3) Griesinger, Theodor. The Jesuits: A Complete History of their Open and Secret Proceedings (London: W. H. Allen & Co, 1903), 528.

البابوية، وفرار زعيمها إلى مدينة «غَيْطَة» Gaeta الإيطالية، وترتب على ذلك قيام «الجمهورية الرومية» في التاسع من فبراير من عام ١٨٤٩م بزعامة أرملياني ومازيني وسافي.

لكن الجمهورية الفرنسية (١٨٤٨-١٨٥٢م) برئاسة الكاثوليكي لويس نابليون -وبالتعاون مع النمسا الحليف البابوي- سرعان ما تدخلت لنصرة البابا «فقامت كتيبة فرنسية بمحاصرة روما، واستولت عليها في الثاني من يونيو من عام ١٨٤٩م، وأعادت السلطة البابوية التي ظلت قائمة بفضل الدعم الذي تلقت من فرقة احتلال فرنسية لم تغادر روما إلا بعد النكبات الأولى في أثناء الحرب الفرنكو-ألمانية^(١) عام ١٨٧٠م»^(٢).

كان هذا التدخل الفرنسي في روما لإنقاذ البابا من المآثر التي حُفظت للويس نابليون من قبل الكرسي البابوي. زد على ذلك مصادقة نابليون عام ١٨٥١م على «قوانين فالو Falloux Laws» التي أعادت الهيمنة الكهنوتية الكاثوليكية على مناهج التعليم والتربية. ولذا لما أعلن نابليون إمبراطورًا عام ١٨٥٢م نادى الأسقف «سان فلور» من على منبره قائلاً: «لقد اصطفى الرب لويس نابليون؛ لقد اختاره سلفاً ليكون إمبراطوراً. نعم إخوتي الأعزاء، لقد كرّسه الرب سلفاً ببركة بابواته وكهنته؛ لقد نادى به ملكاً بنفسه؛ ألا نعتزف بمن اصطفاه الرب؟»^(٤)

أما التنظيمات التابعة للكنيسة الكاثوليكية فازدهرت في ظل حكم نابليون الثالث لا سيما التنظيم اليسوعي؛

«ويليام الثالث» أن يحل محله فكان ذلك عام ١٦٨٩م، وصدر قانون يُحرّم على أي كاثوليكي الجلوس على عرش إنجلترا ثانية.

في إيرلندا وفي أثناء حرب الثلاثين عامًا عزم الكاثوليك على القضاء على الوجود البروتستانت، وحُدّد يوم عيد القديس لويولا (٢٢ أكتوبر ١٦٤١م) فحرضوا الإيرلنديين الكاثوليك ضد البروتستانت في مجزرة قال عنها «كونر أو ماهوني» مبيتهجاً: «أعزائي الإيرلنديين [الكاثوليك]! ... ها أنتم قتلتم في غضون أربعة أو خمسة أعوام -أي بين عامي ١٦٤١ و ١٦٤٥م حيث أكتب هذه الأسطر- ١٥٠,٠٠٠ من الهراطقة [البروتستانت] كما يقر بذلك أعداؤكم؛ وهو ما لا يمكنني إنكاره»^(١).

هذه بعض الصراعات الطائفية التي حدثت في أوروبا وكان سببها دينياً صرفاً، ولم تنزل طوائف النصرى تشكّل عاملاً مهماً جداً في توجيه الصراعات الدولية كما سنراه جلياً في الحرب العظيمة؛ الحرب العالمية الأولى.

ثانياً: الصراع الطائفي النصراني والحرب العالمية الأولى:

١- حروب طائفية نصرانية مهّدت للحرب العالمية الأولى:

في عام ١٨٤٨م عصفت بأوروبا موجة من الثورات التي غيرت الخريطة السياسية في عدد من الدول. كان من تلك الثورات «ثورة فبراير» الفرنسية التي أنهت حكم «لويس فيليب» والملكية الدستورية، ومهّدت لقيام الجمهورية الفرنسية الثانية. وكان منها ثورة الروم الإيطاليين ضد البابا بيوس التاسع الزعيم الزمني والروحي لما كان يُعرف بالدولة البابوية (Papal States). نتج عن هذه الثورة سقوط الدولة

(٢) تعرف أيضاً باسم الحرب الفرنكو-بروسية.

(3) Larousse, VII, p.371; as quoted in The Secret History of the Jesuits (California: Chick Publications, no date), p. 78.

(4) Adolphe Michel. Le Jesuites (Paris: Sandoz et Fischbacher, 1879), p. 71; as quoted in The Secret History of the Jesuits, p. 112.

(1) Walsh, Walter. England's Fight with the Papacy (London: James Nisbet & Co., Limited, 1912), p. 339.

الروسي يقول الأول^(٣).

تحركت جحافل الروس قاصدة القسطنطينية (إسطنبول) -عاصمة الروم البيزنطيين الأولى قبل انتقالها إلى موسكو- والتقت بجيوش العثمانيين. فلما رجحت كفتهم على كفة العثمانيين تدخلت فرنسا وبريطانيا إلى جانب الدولة العثمانية. هل كان ذلك حباً في نصرة الحق وأهله؟ كلا، ولكن لئلا تنهش دابة الروس جسد الدولة العثمانية فلا تبقى للكنيسة الرومية الغربية شيئاً؛ لقد كان الخلاف الكاثوليكي الأرثوذكسي من العظم بحيث تدخلت الدول الصليبية لنصرة المسلمين؛ خوفاً من عودة النفوذ الأرثوذكسي ثانية إلى المنطقة!!

ب- الحرب النمساوية- البروسية والصراع الكاثوليكي- البروتستانتي:

كان الوقت قد أزف كي تدفع فرنسا ثمن دعمها للبابا وعودته إلى عرش البابوية. فبينما كانت فرنسا تجوب أركان العالم تدافع عن مصالح ليست لها، كانت بروسيا منشغلة بتوسيع قدراتها العسكرية في سبيل توحيد الدول الألمانية تحت كتلة واحدة يقودها في ذلك «أوتو فون بسمارك» الذي أصبح فيما بعد «المستشار الحديدي». كانت النمسا أول هدف بعد هذا التوسع؛ إذ تلقت ضربة قوية من خصمها الألماني البروتستانتي.

كان هذا النصر البروتستانتي ضربة عنيفة للنمسا الكاثوليكية، بل للفايكان التي كانت تعد النمسا معقلها الحصين في قلب الأراضي الألمانية. أما الآن

«فقد كانت جمعية يسوع بمعنى الكلمة سيدة فرنسا لمدة ثمانية عشر عاماً.. لقد اكتسبت ثراء، وضاعفت مؤسساتها ووسعت نفوذها. كان دورها ملموساً في كل الأحداث المهمة في تلك الحقبة»^(١).

أ- «حرب القرم» والصراع الكاثوليكي - الأرثوذكسي:

كانت حرب القرم (١٨٥٣م) أولى الحروب التي خاضها الإمبراطور الفرنسي الجديد نابليون الثالث. كان منشأ هذه الحرب - كما يخبرنا «بول ليون» - طائفيًا صرفًا. يقول «ليون» في كتابه «الحرب من أجل السلام»: «خلاف بين الكهنة

يُحيي مسألة الشرق: تولد [هذا الخلاف] من التنافس بين الكنيستين اللاتينية والأرثوذكسية بشأن حماية البقاع المقدسة (في فلسطين)؛ أيهما يشرف على كنائس بيت لحم، ويملك مفاتيحها، ويدير أعمالها؟».

ثم يتساءل «ليون»: كيف يمكن لمسائل صغيرة كهذه أن تجر إلى مواجهة بين هاتين الإمبراطوريتين [الشرقية والغربية]؟، ويجب عن تساؤله قائلاً: «وراء الرهبان اللاتين يقف حزب فرنسا الكاثوليكي ذو الامتيازات القديمة ومناصر النظام الجديد؛ ووراء مطالب الأرثوذكس المتزايدة وأعدادهم المتنامية يقف النفوذ الروسي»^(٢).

لقد كانت روسيا تتأفف عن أتباعها من النصارى الأرثوذكس، بينما تولت فرنسا الكاثوليكية الدفاع عن حقوق الكاثوليك؛ أما الدولة العثمانية فكانت حينها «رجلاً مريضاً جُذ مريض» كما وصفها الإمبراطور

(1) Le Jesuites, p. 72.

(2) Paul Leon. Ed. Fayard, La Guerre pour la Paix (Paris: 1950), pp.321-323. as quoted in The Secret History of the Jesuits, p. 113.

(3) Christopher de Bellaigue. "Turkey's Hidden Past", New York Review of Books, 48:4.

ولكن على أنقاض فرنسا.

نتج عن هزيمة «نابليون الثالث» أن سحب جنوده من روما بعد أن كانت فرنسا تحمي روما منذ ١٨٤٩م. فلما انسحبت الجيوش استولى الإيطاليون على روما وأسسوا مملكة إيطاليا المستقلة. ولما تحررت روما من ربقة البابوية أصبح «فكتور عمانوئيل الثاني» ملكاً لإيطاليا، وفر البابا «بيوس التاسع» من روما وأعلن نفسه سجيناً في قلعة «سانت آنجلو»، ثم أعلن الحرمان الكنسي لـ «فكتور عمانوئيل الثاني» بقوله: «... نَحْرِمُه كَنَسِيًّا ونَلْعَنُه، وعن أعتاب كنيسة الرب المقدسة نَعزِلُه ... ملعون فمه وصدره وقلبه وكل ما انطوى عليه جسده. من رأسه إلى أخمص قدميه لا سَلَم من داء! ... عليه اللعنة! آمين».^(٣)

**لقد قلبت البابوية للفرنسيين
ظهر المَجَن؛ عقوبة لهم على
تمسكهم بالجمهورية ومبادئ
الثورة الفرنسية وسوء أدبهم
مع الملهمين من روح القدس.
لقد جلس على كرسي البابوية
رجل يعتزم التدخل في سياسات
الدول باعتبارها واجباً دينياً ويرى
ضرورة أن يترك بصمة للبابوية
على كل حدث ذي شأن!!**

أما في فرنسا، فلما حصلت هذه النكبة ولى الكهنة إلى جحورهم -كما عبر جاستون بالي- وظلوا يراقبون الجمهورية الفرنسية لتخلص نفسها من حالة الاضطراب السائدة. فلما استعادت فرنسا بعض عافيتها خرج الكهنة من جحورهم.

أخيراً في عام ١٩٠١م صدر قانون يقضي بمنع تكوين جمعيات دينية ما لم يصرح لها بذلك. ثم أعقب هذا القانون قانون آخر عام ١٩٠٤م يلغي التنظيمات الكنسية؛ حينها بدا الخلاف بين الحكومة الفرنسية والكرسي البابوي جلياً ومضطرباً.

في هذه المرحلة الحرجة من العلاقة البابوية الفرنسية هلك البابا «ليو الثالث عشر». يقول «آدريان دانسييت» في سفره الشهير «التاريخ الديني لفرنسا

فقد شرعت الدول الألمانية تصطف تحت هيمنة بروسية بروتستانتية. هنا دُقت نواقيس الخطر في أروقة الفاتيكان!

الحرب الفرنكو-بروسية:

أضحت الكنيسة الرومية تفتش عن ذراع لا دينية توقف الزحف البروتستانتية الذي تتزعمه بروسيا (ألمانيا) «المهرطقة»، وأنّى للفاتيكان أن تجد نصيراً خيراً من الإمبراطورية الفرنسية، ونابليون الثالث «الرجل الذي أرسلته العناية الإلهية»؟ لكن الجيش الفرنسي لا يبدو قادراً على خوض معركة ضد بروسيا، فأسلحته عتيقة، وبروسيا تدرك تماماً تفوقها في هذا الجانب. على الرغم من هذا العجز الظاهر كانت فرنسا هي من أعلن الحرب عام ١٨٧٠م!!

«كان الوزراء الجدد كلهم تقريباً من الكاثوليك المخلصين، أو من رجال الكهنوت»^(١)، هذه التشكيكية لحكومة نابليون الثالث تفسر سر استعجال فرنسا في دخول حرب غير متكافئة، فقد كان المحرك لها أبعد ما يكون عن الوطنية والحدب على الشعب الفرنسي. يقول «جاستون بالي»: «لقد أثبت التاريخ أن حرب ١٨٧٠م هذه كانت من صنع اليسوعيين»^(٢)؛ هي إذن حرب بالوكالة أرادت من خلالها الفاتيكان أن توقف المد البروتستانتية الذي أعقب هزيمة النمسا.

لكن الأمور لم تسر كما خططت لها الحكومة الفرنسية الكاثوليكية، فقد تداعى الصرح البابوي

(1) Adrien Dansette. Religious History of Modern France (New York: Herder and Herder, 1961), vol. I, 316.

(٢) فيصل الكامي. اليسوعية والفاتيكان والنظام العالمي الجديد (مجلة البيان، ١٤٣١ هـ)، ص ٢٠٤.

(3) Lansing, Isaac J. Romanism and the Republic (Boston: Arnold Publishing Company, 1890), pp. 116-118.

الفرنكو-بروسية تجري دون تدخل مباشر من البابا، ولكن بعد أن جلس بيوس العاشر على كرسي البابوية رفض أغلب تعيينات الأساقفة إلا بموافقة من روما. أما مبعوثه البابوي في باريس «لورنزي» فكان كما وصفه دانسييت «لاهوتيًا ضل طريق الدبلوماسية، مسعور العداء تجاه فرنسا».⁽³⁾

تجلى هذا العداء بين البابوية وفرنسا عام ١٩٠٤م عندما قام رئيس الجمهورية الفرنسية «إميل لوبيه» بزيارة لروما ردًا لزيارة إلى باريس كان قد قام بها ملك إيطاليا فكتور عمانوئيل الثالث. لكن البلاط البابوي رفض مقابلة «لوبيه» معتبرًا زيارته اعترافًا بالمملكة الإيطالية التي اغتصبت روما من البابوية على حد تعبير الكنيسة كما سبق؛ مع أن الحقيقة هي أن البلاط البابوي استقبل قبله إمبراطور ألمانيا وملك إنجلترا بعد زيارتهما لملك إيطاليا دون غضاضة؛ لكن البابا كان يعلم أن الأمر كان أكبر بكثير من مجرد ردّ زيارة ملك إيطاليا للعاصمة الفرنسية.⁽⁴⁾

لقد كان البابا محقًا، ففرنسا كانت ترغب في إخراج إيطاليا من «التحالف الثلاثي» الذي عقد في ١٨٨٢م وكان يضم ألمانيا والنمسا/المجر وإيطاليا. وبالنسبة للفاثيكان فإن فصل إيطاليا عن القوى الجرمانية التي تعد أذرعها اللادينية هو فصل للقلب عن الجوارح. زاد الطين بلة ما كان من تضيق على صلاحيات الأساقفة الكاثوليك في فرنسا. أما الجانب الفرنسي فكان قد ضاق ذرعًا بتجاوزات الجانب الكاثوليكي للاتفاقية البابوية الفرنسية التي وقّعها نابليون الأول عام ١٨٠١م فقام بإلغائها وقطع علاقاته مع الفاتيكان، وانتهى ذلك إلى إصدار قانون فصل الكنائس عن

المعاصرة»: «مات ليو الثالث عشر في العشرين من شهر يونيو عام ١٩٠٣م. وبعد عدة اقتراحات منح مجمع الكرادلة ٢٩ صوتًا للكاردينال رامبول -وكان المطلوب ٤٢ صوتًا لانتخابه- وإذا بالكاردينال النمساوي «بوزينا» يقف ويعلن أن جلالته إمبراطور النمسا الرسولي، ملك المجر، قد ألهم رسميًا استبعاد وزير خارجية [البابا] ليو الثالث عشر. إننا نعلم أن الكاردينال رامبول مؤال لفرنسا».⁽¹⁾

هكذا بكل بساطة تدخلت النمسا لإزاحة الكاردينال «رامبول» وتعيين الكاردينال «سارتو» (الذي أصبح البابا بيوس العاشر) بإلهام من الروح القدس! لقد كان مناورة سياسية لا انتخابًا دينيًا؛ يعلم هذا من خطاب البابا الجديد أمام مجمع الكرادلة الذي قال فيه: «لا نود أن نخفي عنكم أننا سنصدم بعض الناس عندما نعلن أننا سننخرط بالضرورة في السياسة. بيد أن المنصف يرى أنه ليس من حق البابا الملك الذي خلع عليه الرب سلطة عليا أن يفصل السياسة عن ميدان الإيمان والأخلاق».⁽²⁾

لقد قلبت البابوية للفرنسيين ظهر المجنّ؛ عقوبة لهم على تمسكهم بالجمهورية ومبادئ الثورة الفرنسية وسوء أدبهم مع الملمهين من روح القدس. لقد جلس على كرسي البابوية رجل يعتزم التدخل في سياسات الدول باعتبارها واجبًا دينيًا ويرى ضرورة أن يترك بصمة للبابوية على كل حدث ذي شأن!! واختار لمنصب وزير الخارجية أسقفًا إسبانيًا يشاطره الهوى هو المونسنيور «ميري دِل فال Merry del Val». كان العامل المشترك الأهم بينهما نزوعهما إلى الألمان وعداؤهما للفرنسيين.

كانت رسامة الأساقفة في فرنسا قبل الحرب

(3) Adrien Dansette. Religious History of Modern France, vol. II, p. 212.

(4) Edmond Paris. The Secret History of the Jesuits, p. 158.

(1) Adrien Dansette. Religious History of Modern France, vol. II, p. 207.

(2) Adrien Dansette. Religious History of Modern France, vol. II, p. 209.

الدولة في التاسع من سبتمبر عام ١٩٠٥م.^(١)

لم يسكت البابا بيوس العاشر عن قانون فصل الدين عن الدولة، وأصدر منشورين بابويين عام ١٩٠٦م يدينان هذا القانون.

لم تجد الفاتيكان بُدًا من ملاطفة المستشار البروتستانتي بسمارك صاحب السياسة المناهضة للبابوية والتي عرفت باسم «النضال الثقافي» -Kulturkampf-، ولسنا بصدد الوسيلة التي اتخذتها الفاتيكان لتغيير هذه السياسة المعادية، لكن الحقيقة هي أن العدو انقلب إلى صديق، حتى إن الكاتب الكاثوليكي «جوزيف روفان» علق بقوله: «سيكون بسمارك أول بروتستانتي يُمنح وسام «تنظيم المسيح» المرصع بالجواهر، وهو واحد من أسمى الأوسمة الكنسية. أما الحكومة الألمانية فتسمح للصحف الموالية أن تنشر عن استعداد المستشار الحقيقي لدعم مطامح البابا في استعادة جزئية لسلطته الزمنية».^(٢) وهناك عامل مهم ذكره «دانسييت» هو أنه بالرغم من أن البروتستانت كانوا أكثرية في ألمانيا، إلا أنه كان بها «أقلية كاثوليكية محكمة التنظيم»^(٣) تجلت في «حزب الوسط» الكاثوليكي الذي دعم «هتلر»؛ وليس هذا مجال بحثنا.

٢- الحرب العالمية الأولى.. حرب طائفية بامتياز:

كانت فرنسا قد قطعت علاقاتها مع البابوية، فحان أن تُؤاخذ من قبلها بالقديم والحديث. ففي عام ١٨٩٢م وقّعت فرنسا تحالفًا مع الوصي على الأرثوذكسية وعدو البابوية اللدود: روسيا؛ كما أنها تقاربت مع إيطاليا التي نزعت عن روما ربة

البابوية عام ١٨٧٠م؛ إضافة إلى عقدها «وفاقًا وديًا» (Entente Cordiale) مع بريطانيا عام ١٩٠٤م لتكتسب عمقًا استراتيجيًا في مواجهة ألمانيا التي أصبحت نصيرًا للبابوية.^(٤)

كانت الكنيسة الأرثوذكسية قد ضربت أطنابها في منطقة البلقان، لا سيما صربيا. وبعد معاهدة بوخارست التي وقّعت عام ١٩١٣م، وانتهت بها حقبة من الصراع في دول البلقان اتسعت رقعة صربيا وأصبحت عمقًا مهمًا لأولئك الأرثوذكس الذين كانوا خاضعين للنمسا الكاثوليكية. هنا اتفقت الفاتيكان وآل هابسبورغ في النمسا على أن صربيا هو العدو الذي ينبغي إسقاطه.

يقول جان برُوات: «كانت النمسا/المجر القوة الكاثوليكية العظمى بلا منازع .. لقد وجد فرنسيس جوزيف، الذي اعتلى السلطة في أثناء ثورة ١٨٤٨م، في الفاتيكان صديقًا متفهمًا وحليفًا فاعلاً. لقد كانت الكنيسة الكاثوليكية الرومية مصدرًا جليًا للنظام والسياسة والحكومة في ملكية هابسبورغ. وكما يجزم موريس بيرنو (كان ثمة توافق مدهش بين سياسة فيينا وسياسة روما)».^(٥)

ليس هذا التعليل لاستهداف صربيا الأرثوذكسية مبالغة في التحليل العقدي لأحداث الحرب العالمية الأولى، فهو موثق في الأرشيف النمساوي. فقد جاء في تقرير حول خطابات الأمير شونبيرغ التي ألقاها في الفاتيكان بين أكتوبر ونوفمبر ١٩١٣م ما نصه:

«من بين المواضيع التي نُوقشت أولاً مع الكاردينال وزير الخارجية (ميري دل فال) في الأسبوع الماضي، برزت مسألة صربيا كما كان متوقعًا. في البدء عبّر

(4) Min Lee. Larousse Dictionary of Twentieth Century History (New York: Larousse plc, 1994), 225.

(5) Edmond Paris. The Vatican against Europe (London: The Wickliffe Press, 1961), p. 33.

(1) <http://en.wikipedia.org> <1905_French_law_on_the_Separation_of_the_Churches_and_the_State>.

(2) Edmond Paris. The Secret History of the Jesuits, p. 161.

(3) Adrien Dansette. Religious History of Modern France, vol. II, p. 327.

لدى الفاتيكان بقوله: «من المستحيل أن يأنس المرء روح المجاملة والمصالحة في كلمات قداسته [البابا]. صحيح أنه وُصف تهديد [النمسا] لصربيا بالعنيف، لكنه مع ذلك استحسنته تماماً، وفي الوقت ذاته وبشكل غير مباشر أعرب عن رغبته في أن تتجزأ الملكية [النمساوية] المهمة. وأضاف الكاردينال: من المؤسف حقاً أنه لم يتم إذلال صربيا من قبل، فقد كان بالإمكان صنع ذلك دون المخاطر العظيمة المترتبة عليه، فهذا الإعلان كان صدئاً لرغبات البابا الذي طالما عبّر على مدى الأعوام السابقة عن حسرته على إهمال النمسا-المجر «معاقبة» جارتها الخطير الواقع على نهر الدانوب».^(٤)

كانت النمسا/المجر الدولة الكاثوليكية بلا منازع، وسند الدين الأقوى الذي تبقي للكنيسة الكاثوليكية. وكان سقوط هذا السند يعني خسارة أقوى دعائمها .. في ظل هذه الحقيقة، ليس من الصعب إيجاد علاقة بين المشاعر الرسولية وروح الحرب.

يلقب «الكونت سفورزا» على هذا التوجه العدائي من قبل الكنيسة بقوله: «لأحد أن يسأل نفسه: لم تبني الكنيسة الكاثوليكية مثل هذا الموقف المولع بالحرب؟ والإجابة يسيرة جداً: إن البابا ورجاله يرون في صربيا داءً فتاكاً استطاع شيئاً فشيئاً أن يخترق إلى نخاع الملكية، وسينتهي بدوره إلى تفكيكها .. إن النمسا/المجر ستبقى الدولة الكاثوليكية بلا منازع، وسند الدين الأقوى الذي تبقي للكنيسة. وبالنسبة للكنيسة فإن سقوط هذا السند سيعني خسارة أقوى دعائمها ... في ظل هذه الحقيقة، ليس من الصعب إيجاد علاقة بين المشاعر الرسولية وروح الحرب».^(٥)

وكتب «البارون ريتز»، الممثل البافاري للكرسي الرسولي، إلى حكومته قائلاً: «إن البابا يقر معاملة النمسا القاسية للصرب. إنه لا يأبه كثيراً لجيوش روسيا وفرنسا إذا ما قامت حرب ضد ألمانيا.

الكاردينال عن سعادته الغامرة تجاه موقفنا الحازم والمواتي الذي اتخذناه في الأشهر الأخيرة. في أثناء لقائي ذلك اليوم بقداسته ... أبدى ملاحظات نوعية قائلاً: «كان من الأفضل لو أن النمسا-المجر عاقبت الصرب على كل ما ارتكبوا من أخطاء».^(١)

يلقب «بيير دومينيك» على الوضع قائلاً: «ماذا كان على آل هابسبورغ أن يصنعوا؟ كان عليهم أن يعاقبوا صربيا، الدولة الأرثوذكسية. لقد كان هذا سيزيد من هيبة النمسا-المجر، وهيبة آل هابسبورغ الذين كانوا -إلى جانب آل بوربون في إسبانيا- آخر أنصارٍ للسوعيين، كما كان سيزيد على وجه الخصوص هيبة وريثهم وبطلهم «فرنسوا فرديناند». أما

بالنسبة لروما، فقد أصبحت القضية ذات أهمية دينية؛ فانتصار الملكية الرسولية على القيصريّة يمكن أن يُعد انتصاراً لروما على الكنيسة الشرقية المنشقة».^(٢)

في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩١٤م قُتل الأرشودوق النمساوي فرنسوا فرديناند في سراييفو. لم يكن القاتل «جافريلو برنسيب» ذا علاقة بالحكومة الصربية،^(٣) لكن مقتل الأرشودوق على الأراضي الصربية كان الذريعة المناسبة لأخذ موقف عدائي من صربيا الأرثوذكسية.

وبينما كانت دولة الصرب تتنازل للجانب النمساوي محاولة الحفاظ على السلام أرسلت الحكومة النمساوية تهديداً إلى بلغراد. علق ممثل النمسا

(1) The Secret History of the Jesuits, p. 165.

(2) Pierre Dominique. La Politique des Jesuites (Paris: Grasset, 1955), pp. 245-250.

(٣) كان «برنسيب» عضواً في جمعية سرية معارضة تدعى «الوحدة أو الموت» أو «اليد السوداء».

(4) The Secret History of the Jesuits, p. 166.

(5) Pierre Dominique. La Politique des Jesuites, p. 247.

الكاردينال وزير الخارجية لا يرى متى سيكون الوقت مناسباً للنمسا لتشن حرباً إذا لم تقرر شنّها الآن»^(١).

لقد كانت الفاتيكان تدرك تماماً حجم المغامرة التي تخوضها، وما قد يترتب عليها من «مخاطر عظيمة»، لكنها مع ذلك بذلت كل ما في وسعها لإضرام نارها؛

إذ إنها فرصة لاستعمال الذراع الألمانية ضد روسيا الأرثوذكسية، وفرنسا التي كانت بحاجة إلى «استنزاف تام»، ولا مانع من تأديب إنجلترا «المهرطقة»؛ كل شيء كان يتجه لصالح الكنيسة الكاثوليكية.

ومع كل هذه الأدلة الدامغة على أن الكنيسة الكاثوليكية هي من

حرّض على قيام الحرب العالمية الأولى إلا أن البعض ينكر على الأقل سعيها في توسيع دائرة الصراع، وأنها لم تكن تريد أن يتجاوز هذا الصراع حدود النمسا وصربيا. لكن «رينيه بازان» الأديب الفرنسي الشهير يخبرنا بحقيقة الأمر فيقول:

«لقد حكم بيوس العاشر الكنيسة من ٤ أغسطس ١٩٠٣م إلى ٢٠ أغسطس ١٩١٤م. في الثاني من يونيو في ذلك العام، بلغ الثمانين من عمره. كانت الحرب قد أزفت.

لقد استشرف هذا الاضطراب في العالم؛ لقد قال أكثر من مرة للكاردينال «ميري دل قال» -الذي كان يأتيه بالرسائل الدبلوماسية وغيرها من أوراق اليوم السابق- بينما كان يوضح خطورة قضية ما: وما عساها أن تكون مقارنة بما سيأتي؟ إن الحرب العظيمة قادمة، ولن ينقضي عام ١٩١٤م

قبل أن تندلع.

أما للوزير البرازيلي الذي كان يغادر مجلسه فقال بيوس العاشر: «أنت محظوظ! لن ترى الحرب العظيمة عن كثب». صُدِمَ الدبلوماسي من هذه العبارة، وكتب عنها إلى العديد من أصدقائه. وبعد أقل من ثلاثة أشهر، كانت خمس دول قد عبأت

جيوشها، وألمانيا تغزو بلجيكا»^(٢).

لكن البابا بيوس العاشر لم يعيش ليرى ثمرة ما سعى فيه. لقد هلك في بداية الصراع في العشرين من أغسطس عام ١٩١٤م.

وقد طوّبه فيما بعد البابا بيوس الثاني، وأبّنه «تاريخ الكنيسة الوجيز»

بقوله: «صنع بيوس العاشر كل ما في وسعه ليمنع اندلاع حرب ١٩١٤م، ومات كمدأ لما استشرف المعاناة التي ستطلقها»؛ فانظر كيف يكتب المنتصر تاريخه!!

هذا قليل مما كُتِبَ حول الحرب العالمية الأولى وعن دوافعها الطائفية. لقد كان الهدف منها القضاء على القوة الأرثوذكسية في البلقان، ونشر الكاثوليكية، لكن الأمر لم يتم كما خُطِطَ له. لكن الحرب العالمية الأولى حققت للفاتيكان نصراً على الكنيسة الأرثوذكسية كما يرى «أفرو منهاتن»، فقد فتحت لها آفاقاً في التعامل الدبلوماسي الذي سعت من خلاله دائبة لإسقاط الدولتين العثمانية الإسلامية والقيصرية الروسية الأرثوذكسية.

مثل هذه الدوافع الدينية الطائفية كانت أيضاً وقوداً للحرب العالمية الثانية التي هي امتداد لما شُرع فيه في الحرب العالمية الأولى، لكن تفاصيل ذلك خارجة عن نطاق هذا البحث.

لقد كانت الفاتيكان تدرك تماماً حجم المغامرة التي تخوضها وما قد يترتب عليها من «مخاطر عظيمة»، لكنها مع ذلك بذلت كل ما في وسعها لإضرام نارها؛ إذ إنها فرصة لاستعمال الذراع الألمانية ضد روسيا الأرثوذكسية، وفرنسا التي كانت بحاجة إلى «استنزاف تام»، ولا مانع من تأديب إنجلترا «المهرطقة». كل شيء كان يتجه لصالح الكنيسة الكاثوليكية.

(2) The Vatican against Europe, p. 46.

(1) The Vatican against Europe, p. 14.

الأهم من هذا تنازل العرش البريطاني صراحةً عن شرط «الأنجليكانية» لمن يجلس عليه بعد قرار ملكي أيدته دول الكومنولث بإجراء تعديلات على «قانون الاستخلاف»؛ وقد تم هذا بشكل مراوغ لا يتنبه له إلا من تابع هذا الشأن.^(٣)

فنصّ التعديل -بحجة حرية التدين- على منح الملك أو الملكة حرية الزواج من كاثوليكي أو كاثوليكية بعد أن كان ذلك محظوراً. أي: أن الملكة التي تتبع الكنيسة الأنجليكانية يمكنها الزواج من كاثوليكي؛ وهذا يعني -إذا ما تجاوزنا «الف والدوران» في صيغة القرار الملكي لقانون الاستخلاف الجديد - أن ملك أو ملكة بريطانيا يمكن أن يكون من الكاثوليك وهو بلا شك انتصار كبير للكاتوليكية الرومية على «الثورة الإنجليزية المجيدة» عام ١٦٨٨م التي طرد بها الإنجليز البروتستانت الملك الكاثوليكي «جيمس الثاني»، ونصبوا الهولندي البروتستانت «ويليام الثالث» مكانه، وصدر حينها قانونٌ يُحرّم على أي كاثوليكي الجلوس على العرش الإنجليزي.

هذا التوحيد بين الكنيستين الكاثوليكية والأنجليكانية (الإنجليزية) إن تمّ سيشكل دعماً قوياً للكنيسة الرومية لا سيما وأن بريطانيا دولة استعمارية توسعية كما هو معلوم. ومثل هذا الاتفاق محتمل جداً؛ لأن العقيدة الأنجليكانية كما أسلفت لم تتخلص تماماً من الإرث الكاثوليكي.

هذا فيما يتعلق بالكنيسة الإنجليزية، أما الكنيسة الأرثوذكسية فإن مساعي التقريب معها من قبل الكنيسة الرومية قد اتخذت صبغة رسمية منذ قيام المجمع الفاتيكاني الثاني عام ١٩٦٢م.

وبإبان بابوية يوحنا بولس الثاني كثفت جهود التلاقي بين الطرفين وعبر البابا الكاثوليكي وبطيريك

ثالثاً: مستقبل الصراع الطائفي النصراني وكيفية استثماره:

مستقبل الصراع الطائفي النصراني:

برغم التاريخ الدامي للصراع الطائفي النصراني إلا أن ثمة سعيًا حثيثاً من قبل الجانب الكاثوليكي على الأقل لرأب الصدع في محاولة لاستيعاب طوائف النصارى الأخرى داخل البيت الكاثوليكي الذي يعد نفسه الكنيسة الأم. كما أن ثمة دعوات من قيادات بعض الكنائس للدخول تحت مظلة الكنيسة الرومية الكاثوليكية.

ففي مقال نُشر في ١٩ فبراير ٢٠٠٧م بعنوان «الكنائس تدعم خطة للتوحيد تحت البابا»^(١) أفصحت «التايمز» عن عزم الكنيسة الإنجليزية (الأنجليكانية) على العودة تحت كنف البابوية، بعد كل الدماء التي سفكتها الكنيسة الرومية عبر خمسة قرون تقريباً في سبيل جعلها مملكة كاثوليكية.

وكان الكثير يستبعد مثل هذه التحول التاريخي، لكن الواقع أثبت خلاف ذلك. ففي خبر بعنوان «البابا يؤسس بناءاً للأنجليكان الذين يتحدثون بروما» نشرته وكالة الأنباء الكاثوليكية CNS في ٢٢ من أكتوبر الماضي ٢٠٠٩م، قام البابا بتأسيس نظام لاهوتي خاص يمكنه استيعاب القساوسة الأنجليكان الذين أبدوا رغبتهم في العودة إلى الكنيسة الكاثوليكية.

هذا التحالف أعلن عنه الكاردينال الأمريكي «ويليام ليفادا» في مؤتمر صحفي عقد في الفاتيكان في العشرين من أكتوبر ٢٠٠٩م، وعبر عن سعادته بقوله: «لقد كان الهدف الرئيس دائماً أن نحقق وحدة تامة وظاهرة».^(٢)

(1) <http://www.timesonline.co.uk/tol/comment/faith/article1403702.ece>

(2) <http://www.catholicnews.com/data/stories/cns/0904673.htm>

(3) <http://www.bbc.co.uk/news/mobile/uk-15492607>

إقامة هيئات ومؤسسات تعنى بدراسة التاريخ الديني الأوروبي

سبل الإفادة
من الصراع
النصراني:

النظر إلى زعماء الغرب باعتبارهم أصحاب عقيدة

الاستفادة من التراث النصراني

إعداد موقع على شبكة الإنترنت مخصص
لرصد الحراك الديني في السياسات الغربية

تتبع الخلافات الطائفية في هذا التاريخ
وإبرازها

رصد حالات التمييز الطائفي في بعض السياسات الغربية وإبرازها إعلامياً
باعتبارها تجاوزات لها خلفياتها الدينية

روسيا مع الكنيسة الكاثوليكية في روما هو مكن
الخطر؛ إذ به قد تعود الإمبراطورية الرومية قوة كبيرة
بعد أن مزقتها قبائل القوط والوندال الأوروبية.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث
المستورد القرشي: «تقوم الساعة والروم أكثر الناس»^(١).
فليس ببعيد أن تتحد هاتان الأمتان الروميتان.

أما الكنيسة البروتستانتية فقد أضاعت كيانها
المستقل بعد أن شارك كثير من رموزها في حوارات
الأديان، وغابت عند كثير منهم روح العداء للكنيسة
الرومية التي اضطهدتها حقبة من الزمن.

خاتمة:

في الختام: أود أن أجيب عن سؤال ملح هو: كيف
يمكن استثمار هذه الصراعات الطائفية بين النصارى
لصالح المسلمين؟

والجواب عن ذلك يتطلب إدراك أمرين مهمين هما:

أ- لا تزال الصراعات الطائفية التي فتكت
بأوروبا النصرانية منذ القديم تؤثر في حاضرها
وتشكل سياساتها، وهو ما يجهله أو يغفل عنه

القسطنطينية المسكوني الأرثوذكسي برثولوميو الأول
عن «الرغبة في نسيان ما مضى من الحرمانات
الكنسية، والسعي في إعادة بناء مشاركة تامة»^(١).

كما أن البابا يوحنا بولس الثاني والبابا بندكت
السادس عشر شاركا البطريركين ديميتريوس
وبرثولوميو طقوس قراءة «العقيدة النيقاوية» بالأصل
اليوناني باستثناء فقرة «البنوة» filioque.

وهناك هيئة خاصة انبثقت عن المجمع الفاتيكاني
الثاني تعرف بـ«الهيئة الدولية المشتركة للحوار اللاهوتي
بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الأرثوذكسية».

وقد كان أول اجتماعاتها عام ١٩٨٠م. وهناك
عشرات الجهود التي تحاول التقريب بين وجهات
النظر؛ من أبرزها الزيارة الأخيرة التي قام بها البابا
الأرثوذكسي القبطي تواضروس للفاتيكان بدعوة من
البابا فرنسيس الأول في مايو ٢٠١٣م بعد أربعين
عاماً من الجفاء.

كل هذه المؤشرات تدل على أن هناك جهوداً حثيثة
لجمع ما تفرّق من طوائف النصارى. ولكن يبقى
احتمال تحالف الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، حديث رقم: ٢٨٩٨.

(1) <http://www.ewtn.com/library/PAPALDOC/BARTH-DEC.HTM>

كثير من المسلمين.

وإن من أهم السبل للإفادة من الصراع النصراني ما يلي:

١- إقامة هيئات ومؤسسات تُعنى بدراسة التاريخ

الديني الأوروبي، وتأثيره في
سياسات الدول، ثم تقريب ذلك
للجيل المسلم الناشئ.

٢- تتبع الخلافات الطائفية في
هذا التاريخ، وإبرازها بحيث تصبح
ملمحاً حاضراً في كتابات العلماء
والمفكرين.

٣- رصد حالات التمييز الطائفي

في بعض السياسات الغربية،
وإبرازها إعلامياً؛ باعتبارها تجاوزات لها خلفياتها
الدينية، وليست مجرد نزعات سياسية. مثال ذلك
حظر الحجاب في فرنسا على المسلمات والسماح به
للراهبات الكاثوليكيات.

٤- النظر إلى زعماء الغرب باعتبارهم أصحاب
عقيدة، والتخلص من التعميمات الخاطئة التي تروّج
أنهم مجرد نفعيين، أو أنهم علمانيون لا دينيون ونحو
ذلك؛ وهو مما غيّب البعد العقدي في دراسة هؤلاء.

٥- الاستفادة من التراث النصراني - لا سيما
المعاصر - الذي يتناول ردود بعض النصاري على
بعض.

٦- إعداد موقع على شبكة الإنترنت مخصص
لرصد الحراك الديني في السياسات الغربية بحيث
يكون مرجعاً علمياً لطلاب العلم والعلماء والمفكرين.

أسأل الله أن يجمع شمل أهل الإسلام، وأن يوحد
كلمتهم، وأن ينصرهم على عدوهم، إنه نعم المولى
ونعم النصير.

أذكر على سبيل المثال لا الحصر الحالة الفرنسية.

فرنسا دولة ضاربة في الكتلثة
كما سبق بيانه، وإن لبس
زعمائها لبوس العلمانية.

من مظاهر هذه الكتلثة أن
زعماءها المتأخرين فرنسوا
ميتران، وجاك شيراك، ونيقولا
سركوزي، وآخرهم فرنسوا
أولاند كلهم من أتباع الكنيسة

الرومية الكاثوليكية. بل إنهم
يُمنحون لقباً تشريفياً كنسياً هو «الكاهن الفخري
لكاتدرائية القديس يوحنا لاتيتران»؛ وهي الكنيسة
الأولى من بين كنائس روما. فهل يُعقل أن يمنح هذا
اللقب التشريفي لمن يحمل أفكاراً علمانية معادية
لفكر الكنسي؟⁽¹⁾

ب- لا يزال المسلمون متأخرين جداً في دراسة
طوائف النصاري بمختلف أطيافهم، ومعرفة تأثير
هذه الطوائف على الحياة الاجتماعية والسياسية في
بلاد الغرب، ومن ثم دراسة الخلفيات العقدية التي
شكّلت الفكر الديني للدول الأوروبية ومدى قرب هذه
الدول أو بُعدها من ذلك الإرث.

إذا علم هذا أدركنا أن استثمار الصراعات الطائفية
بين النصاري لصالح المسلمين ليس بالأمر اليسير، وأنه
بحاجة إلى جهود كبيرة متواصلة تدعمها مؤسسات
وهيئات وعلماء ومفكرون.

(1) <http://www.zenit.org/en/articles/sarkozy-to-visit-benedict-xvi>

معلومات إضافية

صور من الحروب الدينية النصرانية المبررة في أوروبا:

١- حرب الثلاثين عامًا (١٦١٨ - ١٦٤٨م):

هي من أكبر الحروب الدينية النصرانية المبررة في أوروبا. وقد كان هذا الصراع في الواقع سلسلة من الحروب، بدأت كحرب أهلية بين البروتستانت والرومان الكاثوليك في الولايات الألمانية. ولكن قبل انتهاء الصراع، كانت معظم الدول الأوروبية قد تورطت فيه، وأصبحت الحرب نزاعًا عامًا من أجل الأرض والسلطة السياسية.

أسباب الحرب:

كان السبب الأساس للحرب يتمثل في العداء المتأصل بين الألمان البروتستانت والألمان الكاثوليك، فالمجموعتان اختلفتا في تفسيرهما لسلام أوجسبرج (١٥٥٥م) الذي كان الغرض منه تسوية المسألة الدينية في ألمانيا. وقد خرقت المجموعتان الصلح. بالإضافة إلى ذلك، فقد اعترف سلام أوجسبرج بالكاثوليكين واللوثريين فقط، وكان هناك الكثير من الكالفنيين في جنوب ألمانيا الذين طالبوا أيضًا بالاعتراف بهم.

الفترة البوهيمية:

خلال الفترة البوهيمية (١٦١٨ - ١٦٢٠م) أقام البروتستانت، في عام ١٦٠٨م الاتحاد الإنجيلي، وفي عام ١٦٠٩م أسس الكاثوليك العصبة المقدسة.

وقد انطلقت الشرارة التي أشعلت الحرب عندما أمر رئيس أساقفة براغ بتحطيم كنيسة بروتستانتية. ولجأ الناس وهم غاضبون إلى الإمبراطور ماتياس الذي تجاهل احتجاجهم. فانتفض البروتستانت ثائرين. وتُعرف تلك الحادثة التي حددت البداية الفعلية لحرب الثلاثين عامًا في التاريخ بالقذف من النافذة في براغ. وكانت هي عادة قديمة لدى الناس في بوهيميا لمعاينة الموظفين المذنبين بقذفهم من النافذة. وقد عاقب البروتستانت الثائرون اثنين من وزراء حكومتهم بهذه الطريقة.

وقد بدأت الحرب الأهلية في بوهيميا وانتشرت في جميع أنحاء غربي أوروبا.

خلع البروتستانت في بوهيميا الملك الكاثوليكي، فيرديناند من العرش، واختاروا فريديريك البروتستانتي، حاكم ولاية البلاتين بدلاً عنه. لجعل الأمور أكثر سوءًا بالنسبة للبوهيميين، اختير فرديناند إمبراطورًا رومانيًا مقدسًا. وقد كان لفرديناند، الذي اتخذ لقب فرديناند الثاني، نفوذ كبير في هذا الموقع. وفي عام ١٦٢٠م هزم لواءه، يوهان تيسيركلایس، كونت تيلي، البوهيميين هزيمة نكراء في معركة الجبل الأبيض.

وقد كلفت هذه الهزيمة البوهيميين استقلالهم. فأخمدت ثورة البروتستانت، وأصبحت الكاثوليكية الديانة الرسمية للدولة مرة أخرى.

الفترة الدنماركية (١٦٢٥ - ١٦٢٩م) :

بعد هزيمة بوهيميا بدأت الأقطار البروتستانتية تدرك خطر الكاثوليك. اعترض ملك الدنمارك البروتستانتية، كريستيان الرابع قوات فريدريك في سكسونيا، وذلك بمساعدة عدة دول أخرى. ولكن الإمبراطور كان قد تلقى مساعدة غير متوقعة من اللواء ألبرخت، فنزل أويزيبيوس فالنشتين الشهير الذي كان يملك جيشاً عظيماً من الجنود والمغامرين المرتزقة.

وهزم جيش فالنشتين، تساعده قوات الحلف المقدس بقيادة الجنرال تيلي، الملك الدنماركي عدة مرات. وفي النهاية وقّع كريستيان الرابع معاهدة لوبيك (١٦٢٩م)، وانسحب من سكسونيا. وفي تلك الأثناء كان الإمبراطور قد أصدر مرسومًا بإعادة الأملاك؛ وقد نصت هذه الوثيقة على أن تُعاد كل ممتلكات الكنيسة التي استولى عليها البروتستانت إلى الكاثوليك. وبذلك أضاف المرسوم مصدرًا جديدًا للخلاف في ألمانيا.

الفترة السويدية (١٦٣٠ - ١٦٣٥م) :

بعد ذلك دخل الملك السويدي جستافس أدولفس الذي كان يعرف بأسد الشمال الحرب. وقد كان لديه سببان لدخول الصراع. فقد كان مخلصًا للغاية للقضية البروتستانتية، وكانت لديه طموحات لأجل السويد، وهي طموحات ستكون في خطر إذا أصبح فرديناند أقوى مما ينبغي. وهكذا لأول مرة تُقحم مسألة سياسية في الحرب.

وفي عام ١٦٣٠م، أبحر جستافس أدولفس من السويد بـ ١٣,٠٠٠ رجل ليحرر مدينة ماغديبورغ التي كان يحاصرها تيلي. وقد كان جيش ملك السويد من أفضل الجيوش تدريبًا وانضباطًا في أوروبا، ولكنه وصل متأخرًا جدًا، ولم يتمكن من احتلال ماغديبورغ ونهبها وتدميرها. وفي عام ١٦٣١م هزم الجيش السويدي تيلي في معركة برييتفلد وفي عام ١٦٣٢م انتصرت القوات السويدية في معركة مهمة أخرى وقُتل تيلي أثناء القتال. في ظل هذه الظروف، استدعى الإمبراطور فرديناند: فالنشتين الذي كان قد أبعد قبل ذلك. ثم حشد جيشًا آخر من المجندين الجدد من عدة جهات من أوروبا، ووضعو تحت قيادة فالنشتين، وعقد فرديناند تحالفًا أيضًا مع فيليب الرابع ملك إسبانيا.

التقى جيش فالنشتين بالقوات السويدية في معركة لوتزن الشهيرة (١٦٣٢م)، وانتصر السويديون، ولكن جستافس أدولفس قُتل في المعركة. استمر السويديون في القتال حتى عام ١٦٣٤م، حيث دُمّر جيشهم في معركة نوردلينغن. شك الإمبراطور في أن فالنشتين كان يتفاوض مع البروتستانت وأمر باعتقاله. حاول فالنشتين أن يهرب، إلا أنه اغتيل.

الفترة السويدية الفرنسية (١٦٣٥ - ١٦٤٨م) :

في هذه المرحلة، قرر الكاردينال ريشيليو -الذي كان هو الحاكم الفعلي لفرنسا- أن يعوق تزايد نفوذ الهابسبيرج بالتدخل إلى جانب البروتستانت. فأصبحت الحرب صراعًا بين البوربون الفرنسيين والهابسبيرج النمساويين، وفي عام ١٦٣٥م أرسل ريشيليو جيشًا فرنسيًا إلى ألمانيا، فانضم إليه جيش سويدي جديد.

وقد كان للبروتستانت وحلفائهم الفرنسيين قادة ممتازون، منهم الفيكونت دوتورين الفرنسي، ولويس الثاني، أمير كونا.

وقد حقق الجيشان الفرنسي والسويدي سلسلة طويلة من الانتصارات، أعطت البروتستانت الذين يعيشون في ألمانيا أملاً جديداً.

نتائج الحرب:

كانت ألمانيا في حالة يرثى لها عندما انتهت الحرب أخيراً. فقد قُتل الكثير من الألمان. ولم ير أولئك الذين بقوا على قيد الحياة سوى الخراب في كل مكان؛ فقد اختفت مدن وقرى ومزارع كاملة، ودُمّرت معظم الممتلكات. وتدهورت الفنون والعلوم والتجارة والصناعة، مما تطلب من ألمانيا نحو مائتي عام لتستعيد نشاطها من آثار حرب الثلاثين عاماً. فغادر آلاف الناس أوروبا، وبخاصة ألمانيا، وذهبوا إلى أمريكا ليعيشوا حياة جديدة.

٢- الحرب الأهلية الإنجليزية:

هي حرب نشبت بين قوات الملك تشارلز الأول والقوات الخاصة بالبرلمان الإنجليزي، ووقعت الحرب على مرحلتين. امتدت الأولى من عام ١٦٤٢م حتى عام ١٦٤٦م، والثانية من أبريل إلى نوفمبر عام ١٦٤٨م. وأدت إلى إعدام الملك تشارلز الأول عام ١٦٤٩م، وإلى هزيمة ونفي ابنه، الذي سُمّي فيما بعد الملك تشارلز الثاني، عام ١٦٥١م.

أسباب الحرب الأهلية:

قبل الحرب الأهلية كان الملك يدير الحكومة القومية بمساعدة الوزراء، بينما كان دور البرلمان في شؤون الدولة أقل مما هو عليه الآن. حكم جيمس الأول (أول ملك من عائلة ستيوارت) في الفترة ما بين عام ١٦٠٣م إلى ١٦٢٥م. وقصد أن يكون حاكماً مطلقاً، لكن البرلمان لم يشاركه الرأي. وجاء ابنه تشارلز الأول بثلاثة برلمانات بين عامي ١٦٢٥م و ١٦٢٨م، وكان له مع كل منها مشكلة. ثم حلّ البرلمان الثالث عام ١٦٢٩م، وحكم دون وجود برلمان حتى عام ١٦٤٠م.

الأسباب الدينية:

كانت هناك جماعة متطرفة داخل النصارى البروتستانت الإنجليز، عرفت بالبيوريتان (التطهيريين)؛ ظلت لسنوات عديدة تعمل للتخلص من الأساقفة، وتطالب بمراجعة كتاب الصلاة. وقد قاومهم جيمس الأول بينما شن الملك تشارلز الحرب عليهم متضامناً مع مجموعة من رجال الكنيسة بقيادة وليم لود.

وفي عام ١٦٣٣م عُين الملك تشارلز لود رئيساً لأساقفة كانتربري. واتهم البيوريتان تشارلز ولود معاً بميلهما إلى الكاثوليكية الرومانية. وكانت هنريتا ماريا زوجة تشارلز شخصية غير مرغوبة؛ لأنها كانت كاثوليكية، ولأنها كانت أخت لويس الثالث عشر ملك فرنسا. وكان لود غير محبوب أيضاً لأنه شجّع تشارلز على التمسك بإيمانه بالحق المقدس للملوك (فكرة تزعم أن ولاية الملوك من عند الله سبحانه، وأنهم إنما يحكمون باسمه).

نتائج الحرب:

بدأت إعادة الملكية وكأنها إرجاع لعقارب الساعة إلى ١٦٤١م. فقد استعاد البرلمان السيادة للكنيسة الإنجليزية وفرض توحيداً مذهبياً دينياً كاملاً عن طريق التشريع. وصار تشارلز الثاني المسيطر على الجيش وهو الذي يعين الوزراء دون أيّ استشارة للبرلمان. وتم تعزيز الحق المقدس للملك.

وعلى الرغم من إعادة الملكية، فإن البرلمان - وليس الملك - كان هو المسيطر على الكنيسة؛ وقد أجاز شرعية الخروج على الكنيسة عام ١٦٨٩م.

واحتفظ البرلمان أيضاً بحقه في السيطرة على الضرائب، الذي كان قد حصل عليه من قبل في عام ١٦٤١م. وقد اضمحلت سلطة التاج وهيئته إلى درجة أن البرلمان في عام ١٦٨٨م استطاع أن يُنَحِّي ملكاً، وهو جيمس الثاني، وأن يستبدل به ملكاً آخر، هو جيمس الثالث.

وتم الحد من سلطة التاج إلى حد أبعد بصدور قانون التسوية في عام ١٧٠١م القاضي بحرمان أيّ كاثوليكي من رقي العرش، وبذا مهدّ لسلالة الهانوفرية سبيل المجيء لتحكم بريطانيا. كما أنه ساعد في نشأة الدستور الحالي.

المصدر:

www.intaaj.net

الموسوعة العربية العالمية: